

## الدكتور رثيف ناصيف عين على المجهر وأخرى على الكاميرا!



طبيب عالم ومحاور لبق، فنان خلاق في المهنة والهواية كما في الحياة. صاحب انجازات هائلة في حقل الطب والخدمة العامة تفشل في اخفاها روح التواضع التي تسكنه والتي ترفض التباهي، لتعطيك ربما لذة الاكتشاف والتعرف على واحد من الكبار الذين يروي تاريخهم فصولا خلقوها هم، وأصبحت اليوم من البديهييات التي قد لا ينتبه اليها أحد...  
انه البروفسور رثيف ناصيف أحد الأركان المؤسسين لمستشفى الجامعة الأميركية في بيروت وأول طبيب مجاز في العلوم المخبرية في لبنان والمنطقة.

### من الكورة الى العالم

ولد رثيف الياس ناصيف في كوسبا-الكورة عام ١٩٢٦ وسكن راس بيروت بحكم عمل الوالد وتلقى علومه الأولى في كل من مدارس «سان فنسان دو بول» و «كوليج دو لاسال» والحكمة وال «أي سي» قبل أن يدرس الطب في الجامعة الأميركية في بيروت ويتخرج منها عام ١٩٥٠. تخصص في العلوم المخبرية بين لبنان والولايات المتحدة ليصبح عام ١٩٥٥ أول طبيب مجاز في هذا الاختصاص آنذاك في لبنان والمنطقة.

بقي وقيماً للجامعة الأميركية طوال فترة ممارسته للمهنة وتبوأ فيها مراكز عدة وكانت له اليد الطولى في تطويرها وتأسيس مستشفاهما الذي اصبح من أهم الصروح الطبية في لبنان والعالم. فمع الدكتور



ناصر شهد لبنان أول بنك دم بالمعنى المعروف اليوم عام ١٩٤٦ وأعطاه الكثير من الجهد والوقت قبل أن يتراًس ما أصبح يعرف بدائرة العلوم المخبرية حتى عام ١٩٦٧، تاريخ تعيينه عميداً لكلية الطب التي خدمها طوال ١١ عاماً قبل أن يعود الى التعليم والبحث في الحقل الذي اختاره وعشقه على عكس حقل الادارة الذي ذهب اليه «مكرها» رغم العطاءات التي سجلت له فيه. فالى جانب تأسيس و ادارة أول بنك دم بمعناه الحديث ومنصب عميد كلية الطب، شغل الدكتور ناصيف في الستينات منصب أمين سر لجنة التخطيط في الجامعة الأميركية، التي رأى المستشفى الرائد النور بناء على تخطيطها ودراساتها في ٢٠ حزيران عام ١٩٧٠ في عهد رئيس الوزراء رشيد كرامي ووزير الصحة حبيب مطران، ليكبر ويتطور بعد ذلك ويصبح على ما هو عليه اليوم. ويسجل للدكتور ناصيف في مرحلة التطور تلك ما يفخر به من انجازات بينها انشاء أولى غرف العمليات تحت الأرض بعدما كانت متواجدة في الطوابق العليا من المستشفيات مع ما كان يرافق ذلك من مشاكل كضرورة افضال النوافذ والاتكال على التبريد، ناهيك عن الخوف من عمليات القصف التي لم توفر المستشفيات خلال فترة الحرب في لبنان.



ولم تقتصر جهود الدكتور ناصيف في الصرح الطبي والتعليمي على الادارة والتعليم وممارسة الطب بل امتدت الى الخارج فكان مندوب الجامعة الى اللجنة الاستشارية الطبية العليا للضمان الصحي التي تسلم رئاستها بعد ذلك على مدى ٢٣ عاماً، كما شغل منصب خبير لدى منظمة الصحة العالمية مما قاده الى زيارة بلدان عدة منها ايران والسودان ومصر وغيرها وأفضى الى انشاء «المؤسسة التعليمية الطبية في الشرق الأوسط». وبالرغم من دراسة الادارة الطبية في جامعة «يال» الأميركية والحس العلمي الذي يتمتع به بالفطرة والممارسة، لم يختر الدكتور ناصيف الادارة التي سجل فيها علامات مضيئة بل

«هي التي اختارته» ورغم أنه «شبح ادارة» كما يقول، عاد وطلب منه بعد سن التقاعد وهو في السبعين من العمر تسلم ادارة مستشفى الجامعة الأميركية وذلك عام ١٩٩٦ فقبل بشرط أن يبقى في المنصب سنتين فقط وهكذا كان! لم يتذمر الدكتور ناصيف من الخدمة في حقل الادارة تكبيراً أو هرباً من المسؤولية بل لأنه يرى نفسه طبيباً وباحثاً مخبرياً قبل كل شيء؛ ويفتخر في هذا الإطار بادخاله نظام الوحدات الى الفحوصات المخبرية في لبنان عام ١٩٦٥ بالاضافة الى اطلاق الفحوصات الرائدة الأولى من نوعها في مجال علم الأنسجة والخلايا.

## لبناني بامتياز!

كل هذه العطاءات و«الفتوحات» العلمية استحقت عن جدارة مواقف تكريم عدة ترجمت في منح صاحبها وسام الأرز من رتبة ضابط وميداليته استحقاق من كل من نقابة الأطباء ومؤسسة الضمان.

و هذا التكريم لا يتحدث عنه الدكتور ناصيف كثيرا بل يكتفي بالشكر عليه ويرى أنه لم يفعل الا «ما هو واجب تجاه الناس والوطن»، الوطن الذي أحبه بصدق وأثبت حبه له بالفعل لا بالقول، فقد عني ما قال في عز الحرب: «لن أترك لبنان ما دام فيه حجر واحد قائم!» ووفى بقوله طوال حياته اذ لم يفته شيء من حرب لبنان الا بضعة أيام قضاها في بغداد عندما أراد ابعاد العائلة عن أتون المعارك ليعود سريعا الى ميدانه بعد اطمئنانه الى سلامة زوجته وأولاده...

جواز السفر الأجنبي الذي كان وما زال حلم اللبنانيين كباراً وصغاراً كان مرفوضاً لديه حتى عندما كان لبنان أرضاً تتأكلها النيران، وما زال هو وعائلته حتى الآن بلا جواز سفر أجنبي، أوفياء حصراً للجنسية اللبنانية.

ورغم تمسكه بلبنان بكل ما يعني ذلك من صعوبات رافقت سنوات العمل وبخاصة أيام الحرب، رفض الدكتور ناصيف التعاطي في الشأن السياسي و فضل عليها الدخول في «الكشافة» على حدّ قوله!

وصعوبات المهنة أيام الحرب نسيها اليوم لأن عشق الرسالة أبقى من متاعبها ولأنّ «بضع تهديدات» لا تستطيع التغلب على إرادة إرادته حتى عندما تحوّل للإقامة الدائمة في المستشفى لاستحالة الوصول الى المنزل بالإضافة الى ضغط العمل الذي كان يضرض في أحيان كثيرة وصل الليل بالنهار، تماماً كما جرى أواخر عام ١٩٥٧ عندما وصل وباء الجدري الى لبنان عن طريق طفل عراقي زائر في حين أنّ اللقاءات التي حضرها الدكتور ناصيف وفريقه لم تكن بعد كافية للجميع ممّا استدعى استنفاراً طبياً عاماً في المختبر لتحضير آلاف اللقاءات في الليل وتلقيحها للناس في النهار...



روح التفاني والمثابرة نقلها إلى أولاده الثلاثة وهم جميعاً في حقل الطب بالإضافة الى زوجته الصيدلانية، فصيغتهم يتخصّص كأبيه والأبكر دكتور في الصحة العامة فيما تمارس الإبنة الطبّ النفسي العيادي.

أبناء الدكتور ناصيف اختاروا اختصاصاتهم أمّا هو فلا! لأنّ الأمس كما اليوم كانت تشوبه المحسوبيات، قيل له بعد شكّه بمراوغة المسؤولين في التعامل مع طلب انتسابه الى كلية الجراحة: «ليس لديك شخصيّة الجراح!»، ممّا دفعه الى الردّ بسؤال: «كيف تقيسها؟!» ولكن ربّ ضارّة نافعة اتجه الدكتور ناصيف الى العلوم المخبريّة وأبدع... وهذه المحسوبيات مازالت موجودة حتى أيامنا هذه وهي تدخل في إطار المشاكل التي يعاني منها لبنان وأخطرها ما يطال القطاع الطبيّ: «لدينا كلّ ما يلزم لأعلى مستوى من الخدمة ولكنّ القطاع الصحيّ لا يأخذ حقّه من الاهتمام الرسمي» - يقول الدكتور ناصيف- ويضيف: «لا حلّ سحريّاً للمشاكل ولكنّ المركز الأساسي لأيّ حلّ يبقى التثقيف الصحيّ».

وفي ظلّ التطوّر الطبيّ اللا محدود يدعو الى ممارسة الرسالة كمن «يستمتع بقصيدة حلوة أو أغنية جميلة» ويتخوّف من الأطباء «الذين ينصبّ همّهم على الربح المادّي فقط».

لا يخاف الدكتور ناصيف على الطبّ من التطوّر بل من أغراض المطوّرين «فالاستنساخ جيّد إجمالاً إذا تمّ استخدامه لأغراض علاجيّة ويتحوّل الى الشيطان بعينه إذا تمّ استغلاله لأسباب انتفاعيّة، مادية كانت أم معنوية». والشيطان بالنسبة إليه هو الشر المطلق فيما «الله هو الخير المطلق والمحبة الكلية» والدكتور ناصيف في هذا الإطار مؤمن صلب بغير تزلف، يناجي ربه على طريقته من دون أن يرى الطقوس والممارسات ضرورية لأنّ «الداخل أهمّ من الخارج».



الدكتور ناصيف الى اليسار

## «لبنان في صور»

والمؤمن بربه وبلبنان كان له حلم آخر يضاف الى خدمة بلده في مجال الطب، فقد كان يتمنى التقاعد قبل سنّ السبعين وهو عمر تقاعده الفعلي لأنه كان يحلم بإعداد كتاب بعنوان «لبنان في صور» وهو عبارة عن صور التقطها هو بعدسته الخاصة لأهم معالم لبنان الأثرية وغيرها على مدى عشرات الأعوام في إطار الهواية التي يعشقها: التصوير الفوتوغرافي.

فللطبيب الفنان صور مميزة لم تبق أسيرة الأدراج بل رأت النور في كتب مهمة اختار واضعوها تضمينها



صورة فوتوغرافية التقطها



بعضاً من إبداعاته، وبين هذه الكتب كتاب عن لوحات من العصور الوسطى في لبنان لإريكا دود طبع في ألمانيا وآخر عن أهم الآثار في المدن اللبنانية لنينا جدجيان بالإضافة الى كتاب لجامعة البلمند حول أبرز الأديرة، كما للدكتور ألبومات خاصة لصوره التي تزداد أهمية وندرة يوماً بعد يوم لقدمها وقيمتها الفنية، وهي بغالبيتها لآثار وأيقونات بالإضافة الى المعالم الطبيعية.

ولكن الكتاب الحلم لم يصدر بعد لأن المضمون لم يكتمل، فيما يكتفي الدكتور ناصيف اليوم بالعمل على «ترتيب ما عنده»، وهو أمر سيستغرق وقتاً طويلاً لأن كل من يعرفه يدرك أن عنده الكثير كماً ونوعاً وقيمة...

لارا سعد مراد

## تأهيل مستشفى بعبد الحكومي

اهتم وزير الصحة العامة الدكتور محمد جواد خليفة بمشروع تأهيل وتجهيز مستشفى بعبد الحكومي، والذي بدأ العمل به منذ فترة وقد تابع الموضوع مع سفير إيطاليا في لبنان غبريال كيكي الذي وعده بتسريع العمل والإنهاء منه، علماً أن كلفة المشروع تقارب 5 ملايين دولار.

من جهته، شدد الوزير خليفة على مدة العمل خصوصاً أن مستشفى بعبد الحكومي حاجة ضرورية للمنطقة.

كذلك بحث خليفة مع كيكي في المشاريع المشتركة مع الحكومة الإيطالية، خصوصاً تلك المتعلقة ببرامج التمريض وبرامج العناية بالألم والطفل مع المستشفيات الحكومية.

كذلك بحث الوزير خليفة مع وفد من أصحاب مصانع الأدوية برئاسة كلود لطفى، في حضور عميد الصناعيين اللبنانيين جاك صراف في صناعة الدواء والمعدات التي تعترضها.

وطلب خليفة وضع استراتيجية واضحة لصناعة الدواء الوطنية، خصوصاً بعدما استحدثت الوزارة قرارات مهمة تضمن جودة الدواء الوطني ونوعيته. وشدد على أن تكون الاستراتيجية متكاملة، تهدف إلى تنشيط صناعة الدواء في لبنان، وتسمح بالتالي بإيجاد آلية تصدير تساهم في الوقت نفسه مع المواطن، في خفض سعر الدواء.

وتم الإتفاق على تقديم هذه الاستراتيجية بسرعة تمهيداً لدعم صناعة الدواء المحلية.

## الضمان يحدد قيمة البديل المقطوع للمؤسسات المتعاقدة

صدر عن المدير العام للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي محمد كركي مذكرة قضت بتعديل قيمة البديل المقطوع للمؤسسات المتعاقدة، عن كل مستفيد، لتقديم العناية الطبية الى الاجراء المضمونين العاملين لديها ولافراد عائلاتهم المستفيدين. وهنا نصها:

استنادا الى قرار مجلس ادارة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي الرقم 523 المتخذ في الجلسة عدد 292 تاريخ 16/4/2009 والمقترن بمصادقة سلطة الوصاية بالقرار الرقم 1/82 تاريخ 21/5/2009. اولاً: تعدل قيمة البديل المقطوع للمؤسسات المتعاقدة، عن كل مستفيد، لتقديم العناية الطبية الى الاجراء المضمونين العاملين لديها ولافراد عائلاتهم المستفيدين وفقاً لما يأتي:

- 48000 ل.ل. (اربعمئة وثمانون الف ليرة لبنانية) سنوياً. أو  
- 120000 ل.ل. (مئة وعشرون الف ليرة لبنانية) فصلياً. أو  
- 40000 ل.ل. (اربعون الف ليرة لبنانية) شهرياً.

ثانياً: تستثنى الاعمال الطبية التالية من البديل المقطوع المحدد أعلاه، وتبقى على عاتق الصندوق:

- جراحة القلب المفتوح، غسيل الكلى، زراعة الاعضاء البشرية، زراعة نقي العظم، غسيل الدم من الكوليسترول.

ثالثاً: يعمل بهذه المذكرة الاعلامية اعتباراً من تاريخ الاول من شهر حزيران 2009.